

تجربة البعث في العراق منطلق للشورة العربية

أيها الرفاق^(١)

ان التأثر كان يسيطر علي منذ ان وطأت تراب هذا القطر العزيز والتقيت بالرفاق الاعزاء وما زلت خاضعاً لهذه الحالة النفسية . اني اعيش لحظات خالدة برؤى ثمينه للمستقبل ولا أستطيع الآن أن أعبر عنها ولكني واثق بانها ستشكل مادة لتفكيري في المستقبل .

أيها الرفاق

لقد لمست فيكم المحبة الرفاقية كما اعتقد انكم شاهدتم فرحتي بلقائكم . اعيدكم ان تحسبوا انني عندما كنت بعيداً عنكم لم اكن اشعر بهذه المشاعر ولم اكن ارافقكم في كل خطواتكم وافرح لفرحكم وأتألم لألمكم .

أيها الرفاق

سمعت مني بعض الكلمات اثناء تجولي ومشاهداتي لبعض انجازاتكم . ولكن الحقيقة انني كنت في كلامي دون وصف واقع مشاعري فانتم باشخاصكم وباعمالكم وانجازاتكم تحتلون في نفسي مكانة اكبر من التي عبرت عنها واعجابي بكم هو اكبر من كل الكلمات التي قلتها .

نعم انها تجربة فذة تجربة الحزب في العراق ، انها تجربة الحزب التي لن تفوقها تجربة ليس لاننا بلغنا كل الاماني ؛ كلا فنحن في بداية الطريق ولكن هذه البداية الاصيله وحدها هي التي ستوصل الي النهاية الموفقة الظافرة . كنت قبل دقائق

(١) حديث مع الكوادر المتقدمة لحزب البعث العربي الاشتراكي في بغداد بتاريخ ٢٤ / ٦ / ١٩٧٤ .

اقول للرفيق العزيز صدام بان فكرة الحزب من الاساس فكرة متوترة، فكرة تتطلب مستوى متوتراً من الثورية وانتم تعرفون الكتابات في بداية الحزب. وقلت له ان ظروف سوريا حيث نشأ الحزب لم تكن الى هذا الحد من القسوة والصعوبة وكان طبيعياً ان يكون العراق العربي بظروفه الأساسية القاسية هو المنطلق لبداية تحقيق جدي لهذه الفكرة.

أبها الرفاق

لقد قمتم بانجازات ضخمة حاسمة رائدة، تأميم النفط بدأ مرحلة جديدة في العراق وفي الوطن العربي، وبدأ انطلاقة جديدة للحزب اذ اعاد له ثقة الجماهير العربية فكان بداية مرحلة الصعود التي نرجوان تستمر دوماً. والتأميم لم يكن مجرد خطوة ثورية، لم يكن مجرد تحد للاستعمار وشركاته، هذا شيء مهم ولكن المهم ايضاً الحسابات الدقيقة والتخطيط الدقيق الذي ضمن لهذه الخطوة ان تنجح وان يستمر نجاحها وان لا تبقى مجرد موقف ثوري.

المشاركة في حرب تشرين، هذا القرار لا يتخذه إلا قادة تاريخيون، اذ رغم ما كان يحيط بالانظمة التي بدأت الحرب من شكوك وما يعرف عنها من استعداد للتسويات ومن عجز عن انتهاج النهج الثوري الحاسم، كان قرار المشاركة في الحرب تعبيراً عن ايمان بالجماهير العربية، عن ايمان بقدرة الامة العربية ان تعطي عندما تسنح الفرصة اكثر بكثير مما قدر لها حكام الانظمة وان تغير في طبيعة تارك الحرب. وبالفعل هذا الذي حصل، وحرب تشرين ستبقى من امجد المعارك العربية لانها كانت انتصاراً على الاعداء وعلى الانظمة التي كانت تريد ان تجعل منها لعبة محدودة. وكانت مشاركة العراق بالحجم المناسب مع تاريخية ذلك القرار، واعتقد بان مشاركة الجيش العراقي على الارض العربية في القطر السوري لن يُنسى اثرها، لن يذهب اثرها سدى. لقد انجزت شيئاً باقياً وخلاقاً. اذكر اني قلت لعدد من الرفاق السوريين الذين جاؤوني في اواخر ايام الحرب يستعجلون الوحدة بين العراق وسوريا، قلت لهم: تستطيعون ان تتأكدوا ان الوحدة قد حصلت نتيجة هذه المشاركة والمسألة مسألة وقت لا اكثر.

من بين انجازاتكم البارزة هذا الاهتمام الصادق بالطبقات الشعبية، هذا الاهتمام والرعاية لمصالح الجماهير الفقيرة الكادحة. وهذا عدا عن انه يرفع من مستوى الاكثريّة من المواطنين في هذا القطر لكي يكون هذا القطر مهيباً للمهام القومية المقبلة، عدا عن ذلك فان هذا الاهتمام يعبر عن وجه الحزب الاشتراكي، عن ايمانه بالجماهير وبنائها هي الاصل، هي القوة الحقيقية، هي المنبع الذي لا ينضب، هي منبع القوة، منبع الحياة والبناء. كذلك فان تصوركم لبرنامج التنمية هو تصور جدي عصري وقومي ليست هي تنمية التبذير، ولا تنمية التبرير انها تنمية حقيقية تهدف الى استثمار كل طاقات هذا القطر وبأقصر وقت ممكن وبأكثر فاعلية ممكنة لكي يحتل مكانه القيادي في المعركة القومية، في معركة البناء القومي، في معركة الوحدة العربية، في معركة التحرير.

ليست التنمية هنا إلهاء عن مشاغل اخرى اهم منها وانما خدمة للاهداف القومية، هي مرحلة، هي خطوات على نفس الطريق، ليست التنمية كالتي يريدونها في غير مكان لكي ينسوا الشعب، ينسوا الجماهير، مهمة محاربة الاستعمار والصهيونية، ينسوها معركتها المصيرية، ان يغرقوها في المال والرخاء الزائل المؤقت، انها تحمل كل سمات الجدية ولا تخفي اهدافها البعيدة.

أيها الرفاق

عندما استعرض هذه المراحل في مسيرتكم لا بد ان اقول كلمة عن القضية الكردية وهي احد المشاغل الهامة لهذا القطر وللحزب. تعرفون بأن بيان ١١ آذار ١٩٧٠ كان في نظر الحزب انجازاً تاريخياً لانه كان يرمي الى وضع حد للاقتتال بين الاخوة، إلى وضع حد نهائي لهذه المسألة وكان يرمي في الوقت نفسه إلى إعطاء قدوة لكل حركة تقدمية في الوطن العربي بل في العالم حول نظرة البعث في حل مسائل الاقليات القومية. وكان الحزب فخوراً بذلك الانجاز. ولكن المؤسف حقاً ان بعض قياديي الحركة الكردية لم يكونوا في مستوى هذا الانجاز التاريخي، لم يفهموه الفهم الصحيح، الفهم العميق فظلوا في المستوى العادي للمساومات السياسية وللأخذ والرد واهتبال الفرص لكي يحققوا مكاسب جزئية او يظنوا انهم يحققون

مكاسب. قضية كهذه تتطلب نظرة تاريخية، ان يعرفوا التاريخ على الاقل، بانه لم يكن بين العرب والاكراد الا الاخاء والتلاحم والحياة المشتركة.

كنا شعباً واحداً في الماضي ولئن كان للشعب الكردي شكوى فهي ببلاد غير البلاد العربية إذ لم يكن بينهم وبين العرب اي فرق او تمييز، وقد عوملوا في البلاد العربية معاملة العرب للعرب. ثم هناك حقيقة لا يعنى عنها الا الذين ليس لهم نظرة تاريخية هذه الحقيقة هي ان الثورة العربية هي ثورة هذا العصر، الثورة العربية هي المعيار لكل ثورة ولكل تقدمية في كل بلد من بلاد العالم، من يقف في صفها يمكن ان يكون ثورياً وتقدمياً ومن يعاديتها لا بد ان يقع في شرك الاستعمار والرجعية والصهيونية فكيف يجوز لحركة تحرر وطني لشعب صغير ان تتناقض مع مسيرة الثورة العربية، كيف يمكن ان يبقى فيها الحد الأدنى من السلامة، كيف لا تفسد وتدخلها الاصابع الاجنبية والاستعمارية وتصبح أداة مسخرة طالما انها لم تدرك الحقيقة الساطعة وهي انها لا يجوز ان تتناقض مع الثورة الأم، الثورة العربية.

أيها الرفاق

عندما نتطلع الى المستقبل ماذا يمكن ان نضع كخطوط عامة عريضة للمرحلة المقبلة، مجرد اشارات وعناوين.

من جهة، واجبنا ان نتابع مسيرتنا في هذا القطر في كل المجالات وعلى كل الاصعدة، على السطح وفي العمق ان نستثمر دوماً طاقات جديدة ومجالات جديدة لكي نحصن ثورتنا ونجعلها منيعة كل المنعة، ان تكون منعتها بالهجوم لا بالدفاع بالانتاج والمزيد من النشاط بتربية المواطنين من الاطفال الى الشيوخ، بتحسين احوالهم لكي يدافعوا عن ثورتهم وعن ارضهم.

اذا كنت أيها الرفاق اطلقت لتفاؤلي العنان عندما التقيتكم وعندما شاهدت شيئاً من انجازاتكم البارزة فهذا لن يعني بالنسبة لي ولا بالنسبة اليكم ان نسكر او ننتشي وانما الاخلاص للحزب والشعب وقضية الامة يقتضي التغلب على العواطف، عواطف الفرح والاستبشار والتفاؤل هذه ضرورية ضرورة الماء والهواء والخبز ولكي نستمد منها ومن لحظاتها الخاطفة قوة متجددة ثم نعود الى السيطرة على اعصابنا

وعقولنا لان نجاح الثورة لا يكون الا بالنظرة الموضوعية، بالنظرة العلمية. وأستطيع أن أقول بكل ثقة وبقين، بأني قلما شاهدت قادة يمثل رصانة قيادتكم ويمثل موضوعيتها. إنها تعتز وتفخر لبعض اللحظات ثم تنكب على العمل اليومي بكل دأب وبكل تجرد.

أيها الرفاق

هناك بعض الحقائق ظهرت نتيجة الحرب الاخيرة فقد ظهر تنام للقوة العربية، للقدرة العربية، للكفاءة العربية من بعد ذلك الحافظ القوي، حافز الشعور بالهزيمة بعد عام ١٩٦٧ هذه القوة الجديدة، وان كان الاستعمار والصهيونية بدأ أعداء الحرب يعدان الخطط لتفتيتها ولخنقها ولافسادها، هي قوة عميقة وليست مزيفة، قوة حقيقية عبّرت عنها شجاعة الرجال، وعبّرت عنها كفاءة الفنيين، وعبّرت عنها القوة الخارقة التي اظهرتها الجماهير العربية في كل مكان. فاذن نستطيع ان نضع الخطط للمستقبل ونحن واثقون من انفسنا ومن شعبنا ومن وعيه المتنامي.

ان الوحدة العربية أيها الرفاق التي كلما اقتربت تضيع من بين ايدينا يجب ان ننظر اليها نظرة متجددة لكي لا تكون هناك افكار خاطئة ولكي لا ينتابنا بأس غير مبرر. فالوحدة العربية تقترب ونحن الآن اقرب إليها من أي وقت مضى، لانها متجسدة في وعي الجماهير العربية. وعي الوحدة قد نما كثيراً وخاصة بعد الحرب الاخيرة واثناءها ويمكن ان نتوسل لبلوغها طرقاً شتى ان يكون لنا من هذا المستوى الجديد مستوى النضج الذي بلغته جماهيرنا الا نبقى على الوقفات العاطفية القديمة فاما ان يقبلوا معنا بالوحدة واما ان نغضب ونحزن وننألم. الوحدة هي أن نستغل كل ظرف وبكل مجال للاتصال والتعاون والبناء المشترك بين الاقطار العربية، ان نعتبر ان الحكومات وكل هذه الحواجز مؤقتة وزائلة وان نبني للغد وللاجيال، ان نشق طريقنا الى الجماهير حتى في الاقطار التي استسلمت حكوماتها للاستعمار وتخاذلت. خطة الاعداء ان يرونا معزولين منكمشين متوقعين محاصرين كي يصلوا إلى داخل البيت، يجب ان نقشل هذه الخطة بالمبادرات المتكررة المتعددة ان يفتح العراق على الاقطار العربية كلها وان يراعي النسب في القرب والبعد بينه وبينها من حيث

المبادئ وسلامة السياسة.

أيها الرفاق

يجب ان ننظر ونؤمن بأن شيئاً واحداً هو مستحيل ، هو ان تستطيع قوة في هذا العالم خارجية او داخلية ان تضطرننا الى التراجع او تزيحنا من مكان القيادة. يجب ان نعبر عن ايماننا بامتنا وبحزبنا وبثورتنا بالتصميم وبالمزيد من النشاط والتضحية والجهد وبتصور الحياة بانها هجوم مستمر. الثورية لا تتلائم مع عقلية الدفاع: الهجوم المستمر بمعنى المبادرة، بمعنى ان يتفوق المرء على نفسه ببذل اقصى جهوده، ان نفتش دوماً عن مجالات جديدة نستثمرها لاغناء هذه الثورة، ثورة الحزب لزيادة قوتها ومنعتها، لزيادة اشعاعها لاننا نريدها مشعة تستطيع بعد زمن ان تفيض على الارض العربية وان تبني للاقطار العربية او تساعد في بناء تجارب مماثلة.

أيها الرفاق

انني انظر الى المستقبل بعين التفاؤل والايمان ولاشك ان لكم ولتجربتكم ولجهودكم فضلاً في تعزيز ثقتي وايماني بمستقبل أمتنا وحزبنا، انني قبل ان انهي كلمتي ارى ان اشير اشارة خاطفة الى ان الحزب في الاقطار العربية، حيث يقوم له تنظيم وحيث لم يقم له تنظيم بعد، مطالب بان يضاعف الجهد فالمجال فسيح وواسع والظرف مؤات، وقد تداعت افكار ونظريات كثيرة كما تداعت تجارب حكم كثيرة او فقدت الكثير من رونقها ومن ثقة الجماهير بها، واحتفظ الحزب برصيده الفكري والنضالي والعملي في البناء وهذا مجال يجب ان نضاعف الجهد فيه لانه تعبير عن قومية حزبنا من جهة وقوة وحماية لثورة الحزب في هذا القطر من جهة أخرى، واتمنى لكم كل توفيق.

٢٤ حزيران ١٩٧٤